خطوط الجبهة في مواجهة المشاريع الصهيونية في الوطن المحتل

بقلم: عبد الرحيم ملوح
عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ان الكتابة في هذا الموضوع تحتاج الى وقت طويل اولا والى صفحات كثيرة ثانيا نظرا لاهمية الموضوع من جانب تعدد المشاريع الامبريالية ـ الصهيونية في منطقتنا بشكل عام وفي فلسطين بشكل خاص من جانب ثان ، ولا بد لمن يريد ان يتصدى لهذا الموضوع ان يعود الى الوراء قليلا ليتطرق ولو على سبيل الذكر للمشاريع الامبريالية ـ الصهيونية في مراحلها المختلفة ، وكيف كان التصدي لها .

جوهر المشروع الصهيوني

لقد كان المشروع الامبريالي الصهيوني على ارض فلسطين استجابة طبيعية لمصلحة الامبريالية الاقتصادية السياسية والعسكرية في هذا الجزء من العالم . وقد اندمجت هذه المصلحة الامبريالية بمصلحة البرجوازية اليهودية وخاصة المالية منها . وشكل هذا التزاوج بالمصلحة اساسا قويا لايجاد كيان استيطاني في هذا الجزء من العالم ليشكل قاعدة عسكرية من نوع خاص مهمتها :

١ ـ حماية المصالح الاقتصادية الحيوية للامبريالية في المنطقة خاصة بعد تطور الالة من جهة واكتشاف الوقود لهذه الالة في باطن اراضي المنطقة .

٢ ـ اهمية الموقع الاستراتيجي الخاص لهذه المنطقة حيث تقع على مفترق تتلاقى فيه القارات الثلاث : اوروبا ، اسيا ، وافريقيا . واهمية الاحتفاظ بالممرات للوصول الى هذه القارات خاصة آسيا وافريقيا لضمان استمرارية نهب شعوب هذه المناطق .

٣ ـ ضمان اسواق المنطقة الاستهلاكية للمنتجات المصنعة في البلدان الرأسمالية مما يساعد على ازدهار الصناعة وجني المزيد من الارباح لجيوب الرأسماليين .

٤ ـ استعمال هذا الكيان كقاعدة عسكرية وعصا غليظة لضرب اية حركة تحرر وطني تقوم بتهديد المصالح الحيوية للامبريالية في هذا الجزء من العالم .

٥ ـ المساهمة في حماية الجزء الجنوبي لاوروبا ومنع اي تهديد يقع عليها من هذه المنطقة .

٦ ـ الابقاء على حالة التخلف والتشرذم للشعوب العربية والحيلولة دون تطورها ووحدتها وذلك بخلق المشاكل المستمرة لها وتبديد اموال هذه الشعوب على التسلح بدلا من التنمية الحقيقية لقدرات هذه الشعوب .

قد لا يكون واضحا لمهندسي ايجاد الكيان الصهيوني في منطقتنا جميع هذه المهام الملقاة على عاتقه منذ بداية تأسيسه ، وان عددا من هذه المهام قد توضحت مع الزمن ولكن الشيء الجوهري والاساسي لتأسيس هذا الكيان كان واضحا ومن البداية . ولهذا السبب فقد تم تقديم كل الامكانيات لانشاء هذا الكيان ابتداء من الدعم المالي غير المحدود انتهاء باستعمال كل الاساليب غير الانسانية وغير الاخلاقية لتدعم هذا الوجود . فقد قدم الرأسماليون اليهود في العالم الاموال الطائلة وبتدعيم الرأسمالية العالمية لتمويل عمليات الهجرة اليهودية من مختلف انحاء العالم الى فلسطين . وقام الاستعمار البريطاني بتوفير الحماية والمساعدة في مصادرة الاراضي وسن القوانين المختلفة من اجل توطين هؤلاء المهاجرين وطرد المواطنين الاصليين من اراضيهم ، وبعد التواجد الاولي بوشر رأسا بانشاء المؤسسات الادارية والعسكرية ... الخ ، الكفيلة بوضع الاسس لبناء دولة . وعلى الصعيد العالمي تم توفير الغطاء السياسي بهذا الشكل او ذاك لضمان استمرار سير عملية الانشاء بدون عقبات ، بما في ذلك توفير عملاء عرب من امثال فيصل بن الحسين للتوقيع على معاهدات توفر الغطاء لقبول هذا الكيان (معاهدة فيصل ـ وايزمن) محليا ؟

انشاء الكيان الصهيوني :

لقد استمر الدعم الامبريالي بمختلف اشكاله السياسية الاقتصادية والعسكرية في كافة المراحل الاولى التي مرت بها عملية انشاء الكيان الصهيوني حتى الاعلان عن هذا الكيان في عام ٤٨ حيث تحول هذا الدعم الى الشكل الرسمي المعلن والمنظم ، والذي تمثل بالاعتراف السياسي بالكيان في لحظة الاعلان عنه . وفي هذه الفترة بالذات اعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين وسلمت كل الدوائر والمؤسسات الحكومية ، وكافة الاسلحة في مستودعاتها الى المؤسسات الصهيونية والذي كان قد سبق انشاءها من اجل ان تكون البديل المهيأ لقيادة البلاد ، في حين كان قد جرى تحطيم اية هياكل تنظيمية ادارية للشعب الفلسطيني وتجريده من كافة اسلحته بقوة الجيش البريطاني .

اعلن عن انشاء الكيان الصهيوني وكانت كافة مؤسسات الدولة جاهزة تقريبا ولهذا لم توجد اية صعوبات تذكر في هذا الجانب مما سهل عليه الانتقال رأسا للهجوم من اجل توسيع الرقعة التي اعترفت هيئة الامم المتحدة بالاستيلاء عليها وفق قرار التقسيم عام ٤٧ ، حيث ضم اليه قرى المثلث وغيرها من المواقع ، ولم تحل الفزعة العربية بينه وبين تطبيق مخططه في عملية الضم . حيث ظهر حجم التواطؤ الرجعي مع المخطط الامبريالي ابتداء من صفقات الاسلحة الفاسدة للجيش المصري مرورا بماكو اوامر للجيش العراقي وانتهاء بتعيين الملك عبد الله قائدا عاما للجيش العربي « المحرر » وغلوب باشا رئيسا لاركانه .

ومنذ هزيمة الجيوش العربية وتثبيت الكيان الصهيوني بالاعتراف الدولي به استمرت اعماله الارهابية تأخذ شكلا منظما ضد المواطنين الذين فضلوا الموت على ترك اراضيهم او على الحدود المجاورة لها ، فمن التجريد من الاراضي والمنازل الى هدم المنازل الى عمليات الذبح الجماعي كما حصل في دير ياسين وبعدها كفر قاسم مرورا بالحملات العسكرية الكبيرة المتمثلة في عدوان ٥٦ على مصر والاحتفاظ بمضائق تيران بعد فرض الانسحاب على اسرائيل (من الجدير بالذكر ان هذه الحملة كانت مشتركة بين بريطانيا وفرنسا على اثر تأميم قناة السويس) . واعقب هذا عملية جر مياه نهر الاردن لارواء النقب ثم العدوان على الشموع في لواء الخليل حتى عدوان ٦٧ الذي ضم كافة اراضي فلسطين اضافة الى قسم من اراضي سوريا (الجولان) واراضي مصر (سيناء) الى الكيان الصهيوني ، اي بقصير العبارة

منذ الاعلان عن انشاء هذا الكيان وهو في عملية توسع يومي . ولكن تستطيع القيام بكل هذا فقد امنت له الامبريالية العالمية كافة وسائل الدعم المختلفة ابتداء من تزويد جيشه بأحدث انواع الاسلحة وفي اغلب لاحيان بدون مقابل مرورا بتوفير كافة المبالغ اللازمة ليس لسد العجز في ميزان التجارة فحسب وانما من اجل بناء قاعدة اقتصادية صناعية متقدمة ، وتوفير السيولة اللازمة لاستيعاب الاعداد الكبيرة من المهاجرين القادمين من مختلف انحاء العالم .

لقد اعتمدت سياسة الكيان الصهيوني على المرتكزات التالية :

١ ـ الاحتفاظ بالتفوق العسكري :

لقد حرصت اسرائيل ومن ورائها امريكا على ان تكون صاحبة اليد الطولى عسكريا في المنطقة وجاء هذا في نوعية السلاح الحديث وكمياته الكبيرة التي تسلمته من فرنسا اولا ومن امريكا عن طريق المانيا ثم من امريكا مباشرة . ثم المستوى التعبوي العالي الذي وصلت اليه من خلال استعمالها الميداني لهذه الاسلحة . واي نظرة متفحصة للوراء ترينا ان « اسرائيل » وصلت الى تفوقها العسكري في كافة المجالات وفي كل الاحوال . وهذا نابع بالاساس من طبيعة المهمة الملقاة على عاتقها في هذا الجزء من العالم كقاعدة متقدمة للامبريالية في منطقة حيوية لمصالحها ، ومن طبيعة الوجود « الاسرائيلي » ذاته في منطقة تكن لها العداء وتفوقها من حيث الامكانيات والعدد ، اذا ما قدر لهذه العناصر ان تتوحد ، وحتى يبقى زمام المبادرة دائما في يدها مستندا بهذه القوة العسكرية الكبيرة اذا ما شعرت ان هناك اية بوادر لاي نوع من التهديد لمخططها التوسعي جغرافيا وسياسيا واقتصاديا .

٢ ـ التوسيع المستمر لرقعة احتلالها :

منذ بداية الوجود الصهيوني على ارض فلسطين ثبت نهجا اساسيا هو التوسع المستمر بكافة الاشكال وكافة الوسائل . وحتى هذه اللحظة لم يتغير هذا النهج لانه يقوم اساسا عليه الوجود الصهيوني كله والمشروع الصهيوني

برمته . وقد رأينا العديد من اشكال التوسع ، في البداية كانت بمساعدة واشراف سلطات الانتداب وتحت شتى الوسائل والاساليب . وبعد انشاء الكيان الصهيوني اخذت اشكالا اكثر عمقا واوسع شمولا ، مثل ضم المثلث ، الاستيلاء على مياه نهر الاردن ، الاستيلاء على مضائق تيران ، عدوان ٦٧ والاستيلاء على الضفة والقطاع بالاضافة الى سيناء والجولان ، والاستيلاء على قسم من اراضي الجنوب اللبناني ... هذا التوسع المنهجي والمستمر رافقه على صعيد اراضي المستولى عليها عملية تغيير منهجي لملكيتها تحت العديد من الاعتبارات والاساليب والقوانين القديمة المتراكمة عن عهود الانتداب والقوانين الجديدة المسنة لهذه الغاية .

وقد كانت وما زالت الاهداف التوسعية لهذا الكيان القانون الثابت الذي حكم مسيرتها منذ اللحظة الاولى التي اوجدت فيها اول مستوطنة على ارض فلسطين عام ١٨٨٤ . وترجع الجذور الاساسية لهذا الوضع الى الاسباب الاساسية التي من اجلها وعلى ضوئها انشئت « اسرائيل » ومن ثم المتطلبات الضرورية لكي يقوم هذا الكيان بما هو مناط به من مهام في هذه المنطقة بشكل كامل .

٣ ـ جلب المهاجرين :

نظرا لطبيعة الوجود الصهيوني الاستيطاني على ارض فلسطين ولعدم وجود جماهير يهودية يرتكز عليها في فلسطين حيث كانت نسبة اليهود الى نسبة العرب والفلسطينيين في بداية هذا القرن حوالي ٦ بالمئة فقط . لهذا فقد عقدت الحركة الصهيونية بشكل اساسي على عمليات التهجير والهجرة من الخارج من مختلف مناطق العالم ، وجلب المهاجرين الى فلسطين من ارساء قاعدة اجتماعية استيطانية لبناء الكيان وبشتى الوسائل والاساليب مستعملة الوعود احيانا والوعيد احيانا اخرى مذكرة بالتوراة وارض الميعاد ومتعاونة مع الفاشية والنازية من اجل خلق اجواء مناسبة للتهجير ، مستغلة ابشع استغلال المآسي والآلام التي عانت منها التجمعات اليهودية في اوروبا بشكل خاص لهذا السبب او ذاك .

لقد كان يتوقف على موضوع الهجرة نجاح او فشل المشروع كله . لهذا نجد انه تم وضع كل الامكانيات في يد الحركة الصهيونية من اجل جلب اكبر عدد ممكن الى فلسطين . وقد ساهم في هذه المشاريع جميع قوى الظلم والاستعمار كل حسب دوره ابتداء من روآسب القيصرية مرورا بالنازية الهتلرية وصولا الى الامبريالية الامريكية . حتى الرجعيات العربية قامت بدورها بشكل جيد من اجل اسناد هذا المشروع . واعتمادا على حجم الهجرة هذه ترسخت قواعد هذا المشروع الاستيطاني كله في ارض فلسطين ، فعدد سكان « اسرائيل » الان هو بحدود ثلاثة ملايين ، في حين كان عدد اليهود في بداية هذا القرن يعد بالالاف فقط . ولم يتغير هذا الرقم بناء للنمو السكاني الطبيعي وانما اعتمادا على الدفعات الكبيرة من المهاجرين التي قدمت الى فلسطين من اوروبا ومن العالم العربي بشكل خاص .

ان استيعاب الاراضي المستولى عليها ، وتدعيم قوة الوجود «الاسرائيلي» عسكريا واقتصاديا وسياسيا يعتمد الى حد كبير على زيادة عدد المهاجرين اليهود الى « اسرائيل » . من هنا نرى الحملات المكثفة سياسيا والموازنات المالية الكبيرة المرصودة لهذه الغاية . فكلما زاد عدد المهاجرين الذين يأتي غالبيتهم من مجتمعات متقدمة الان كلما تدعمت قوة « اسرائيل » من كافة الجوانب . وموضوع الهجرة هو البرنامج الاساسي للوكالة اليهودية التي تعمل عليه في كافة انحاء العالم ، وهناك في « اسرائيل » وزارة خاصة لهذه الغاية لا يوجد لها مثيل في العالم هي وزارة الاستيعاب والهجرة .

٤ ـ تهجير المواطنين العرب :

ان عملية استيعاب المهاجرين الجدد تتطلب بالضرورة طرد السكان الاصليين خاصة ان فلسطين ليست منطقة خالية من السكان فهي من اكثر المناطق اكتظاظا بالسكان في العالم العربي .

ان ما يجري على ارض فلسطين هو بناء لكيان جديد وهذا يعني ان المهاجر الجديد يجب ان يتوفر له المنزل ومكان العمل ... الخ . ولن تتوفر له كل متطلباته هذه بدون اجراء معاكس وهو تجريد اصحاب الممتلكات منها حتى يتم اعطاؤها للقادم الجديد . على ضوء هذه الصورة المبسطة يتم طرد الملايين من الفلسطينيين اصحاب الوطن الحقيقيين من ارضهم ومنازلهم . والعقل الامبريالي ـ الصهيوني قادر من واقع تجاربه العديدة على استنباط مبادرات الطرد مع انه في العديد من الاحيان لا يستطيع الا ان يتعامل بشكل سافر مع هذا الموضوع . فلم تعد تجدي قوانين الاراضي الحكومية او أملاك الغائب ... الخ . من القوانين المخصصة لهذه الغاية . فأصبح يقوم بعمليات الاستيلاء المباشر تحت دواعي الامن ... الخ . ومن ثم عمليات المتعصبين من امثال « غوش امونيم » المباركة من الكنيست والحكومة ، انه مخطط منهجي وما يجري هو تخريج فقط للشكل أما المضمون فهو طرد اكبر عدد ممكن من